الاستلزام الحواري في التحرير والتنوير

The duty of dialogue in ataherir and atanwer

دايد عبد القادر[1]*، مليانـي محمد[2]

[1] جامعة وهران 1/أحمد بن بلة(الجزائر)، daidabdelkader07@gmail.com

[2]جامعة وهران 1/أحمد بن بلة، medmel1992@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022-10-24 تاريخ القبول: 2022-11-19 تاريخ النشر:2022-12-27

ملخص البحث

يعد الاستلزام الحواري من أهم مفاهيم التداولية، بل ألصقها بطبيعة البحث التداولي، وقد نشأ هذا المفهوم على يد " بول غرايس " عبر محاضراته التي ألقاها في جامعة هارفرد سنة 1967م، وقد طبعت هذه المحاضرات في أجزاء سنة 1975 م في بحث له بعنوان " المنطق والحوار " عالج فيها التصورات الكاملة التي يقوم عليها الاستلزام الحواري، وهي تؤسس لنوع من التواصل، الذي يمكن وسمه بالتواصل غير المعلن < الضمير > بحجة . أن كثيرا من الأحيان . يقول كلاما ويقصد غيره ، كما أن المستمع يسمع كلاما ويفهم غير ما سمع، مما يدل على أن العملية التأويلية للمعنى لا تتم بشكل عشوائي، بل يؤطرها مجموعة الظروف والملابسات المحيطة بالخطاب، من متكلمين وسياق ومخاطبين إلى غير ذلك، ومن هنا بدأ البحث اللساني ينحو منحى مميزا فلم يعد الاهتمام ينصب على وضع نظريات للخطاب، وإنما صار يعنى بعملية التخاطب في حد ذاتها.

كلمات مفتاحية: التداولية، الاستلزام الحواري، مبدأ التعاون، الخطاب القرآني، السياق.

Abstract:

Dialogue necessityIs one of the Most important concepts of délibéra ativeness, and evenpasted to the nature of deliberativeresearch, and this concept wasoriginated by Paul Grace throughhis lectures délivre at. Harvard University in 1967, and these lectures wereprinted in parts in 1975 in a paperentitled 'Logic and Dialogue' in whichheaddressed the complete perceptions on which dialogue imperativeisbased, and theyestablish a kind of communication,

* المؤلف المرسل: دايد عبد القادر

whichcanbecharacterized as unspoken communication conscience under the pretextthatmany of the Sometimeshesayswords and meansothers as the listenerhearswords and understandsotherthanwhatheheard, whichindicatesthat the hermeneuticprocess of meaningis not donerandomly, but isframed by the set of circumstances and circumstancessurrounding the speech, from speakers, context, addressees to others, hence the dissipation of linguisticresearchtowards a distinctive direction sothatthe attention is no longer focused on thedevelopment of theories of speech, but has becomeconcernedwith the process of communication itself.

Keywords: deliberativ; the duty of dialogue; principle of cooperation; Quranic discourse; context.

1.مقدمة:

يعد الاستلزام الحواري من أهم مفاهيم التداولية، بل ألصقها بطبيعة البحث التداولي، وقد نشأ هذا المفهوم على يد " بول غرايس " عبر محاضراته التي ألقاها في جامعة هارفرد سنة 1967م، وقد طبعت هذه المحاضرات في أجزاء سنة 1975 م في بحث له بعنوان " المنطق والحوار " عالج فيها التصورات الكاملة التي يقوم عليها الاستلزام الحواري، وهي تؤسس لنوع من التواصل، الذي يمكن وسمه بالتواصل غير المعلن < الضمير > بحجة . أن كثيرا من الأحيان . يقول كلاما ويقصد غيره ، كما أن المستمع يسمع كلاما ويفهم غير ما سمع، مما يدل على أن العملية التأويلية للمعنى لا تتم بشكل عشوائي، بل يؤطرها مجموعة الظروف والملابسات المحيطة بالخطاب، من متكلمين وسياق ومخاطبين إلى غير ذلك، ومن هنا بدأ البحث اللساني ينحو منحى مميزا فلم يعد الاهتمام ينصب على وضع نظريات للخطاب، وانما صار يعنى بعملية التخاطب في حد ذاتها.

وإذا كانت بدايات هذه الظاهرة في الدرس التداولي تعود إلى الأبحاث التي قام بها " بول غرايس " 1913 . 1988 م، فإن بعض الدراسات التي قام بها عدد من الباحثين العرب المحدثين تؤكد أن العرب القدماء كانوا على وعي كبير بظاهرة الاستلزام الحواري، وخصوصا علماء البلاغة

وأصول الفقه الذين كانت دراسة هذه الظاهرة عندهم أكفى مما توصل إليه علماء الدرس اللساني الحديث.

2. وعي العرب القدماء بظاهرة الاستلزام الحواري:

لقد تم الانتباه في الفكر اللغوي العربي القديم إلى ظاهرة الاستلزام الحواري، ليس من حيث المفهوم، بل من جهة كونها إشكالا دلاليا يبرز في أحايين كثيرة، لذا كان من الضروري ترصدها واستقصاؤها في علمي البلاغة والأصول، وذلك بتقديم جملة من الاقتراحات التي بقيت في نطاق ملاحظة الظاهرة، ثم وضع مصطلحات تتباين بتباين تلك العلوم، ومن هذه المصطلحات : المعنى الفرعي، المعنى المقامي ودلالة المفهوم والأغراض التي تؤديها الأساليب (وغيرها من المصطلحات والمفاهيم التي تدل على مدى عنايتهم وإدراكهم لهذه الظاهرة، ويحاول من خلال هذه الدراسة تتبع هذه الظاهرة والوقوف عليها في الدرس اللغوي الحديث من خلال جهود الطاهر بن عاشور في تفسيره الماتع المسمى ب " التحرير والتنوير).

3. الاستلزام الحواري في التحرير والتنوير:

3. 1.استلزام خرق مبد الكم:

يفيد هذا المبدأ أن عملية التخاطب يجب أن تكون مفيدة، وأن يكون دالا على المطلوب، ولتسهيل الدراسة نقسم هذا الخرق إلى قسمين :

ا. الخرق بالإيجاز:[1]

المتأمل في النص القرآني والمتقصين له يجد أن الايجاز قد ورد في مواضع عدة، سواء أكان الايجاز عن طريق الحذف الذي تحتف به القرائن أم إدراك المعنى بقليل لفظ، وهذا ما يفسر به جنوح النص القرآني إلى الاستغناء عن ذكر التفاصيل التي تدرك بالعقل او اللغة.

ويعد الإيجاز في البحث اللغوي قانونا أساسيا من قوانين التخاطب، ومؤدى هذا القانون هو إضمار المتكلم كلاما دلت عليه القرائن مقالا كانت أو مقاما ف " اللسان العربي يمتاز على كثير من الألسن بكونه يميل إلى إنجاز العبارة وطي المعارف المشتركة طيا، اعتمادا على قدرة المخاطب على تدارك ما أضمر من الكلام، وفي استحضار أدلته السياقية "[2]إذا دعت الحاجة اليه.

ويمكن تتبع هذا الخرق الايجاز في تعبير ابن عاشور التداولي في قراءته لقوله تعالى : {وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ}[3]، قائلا : " أردف ذكر إنكارهم البعث بتصوير حال المنكرين أثر البعث وذلك عند حشرهم إلى الحساب، وجيء في تصوير حالهم بطريقة حذف الجواب لو حذفا يرادفه أن تذهب نفس السامع كل مذهب من تصوير فضاعه حالهم وهول موقفهم بين يدي ربهم، وبتوجيه الخطاب إلى غير معين لإفادة تناهي حالهم في الظهور حتى لا يختص به مخاطب، والمعنى : لو رأيتأيها الرائي لرأيت أمرا عظيما " [4]

تضمن النص أقطاب العملية التواصلية < المتكلم والمخاطب والخطاب والمقام > وأشار إلى عناية المفسر بالشق الاستعمالي للغة، وظهر ذلك جليا في محاولته لتفسير المظاهر الطارئة على بنية التراكيب النحوية وانتباهه على " ما لجهاز التحاور من سيطرة على نواميس الحدث التخاطبين حتى ان مبدا التفاهم قد غدا بمنزلة المعيار الضابط لطاقة الاختزال او التصريح في الكلام " [5]

وقد يعلل الطاهر بن عاشور حذف جواب لو تعليلا تداوليا وذلك لعلم المخاطب، وقد صور موقف الحديث وكان السامع حاضر في زمان الحدث ومكانه، فالمتكلم لا يحتاج ذكر التفصيلات لأن المخاطب يراها رأي العين، ويمتلك السامع معرفة متشبعة بمراد المتكلم الذي يميل إلى قاعدة خرق الكم أو الإيجاز بحسب المفهوم التداولي، وللإيجاز حلاوة في التأمل أو الاستنباط للمخاطب وهي الرياضة الفكرية التي تجعل المخاطب يغوص بين طيات النص وسبر أغواره وفهم مراد المتكلم " [6]

وعليه أن المفسر أدرك القصد من وراء عملية الخرق الكمي الذي حدث في الآية، فقد حقق مبدا التوازن بين " طاقة التصريح في الكلام وعلم السامع بمضمون الرسالة الدلالية وبموجبه تكون الطاقة الاختزالية ممكنة بقدر ما يكون للسامع مستنطقا لمضمونها الخبري " [7]

ويجرنا هذا الكلام إلى أن ابن عاشور يجنح إلى فكرة أن اللغة القرآنية تقوم على أساس ما يعرف ب " الاقتصاد الادائي " الذي يدفع بكل مستعمل للسان العربي الى أن يركب كلامه بما يسمح له بإبلاغ أكبر كمية من المعلومات بأقل ما يمكن من المجهود الأدائي "[8]، والمبادئ التداولية تتطلب إجراء قاعدة الخرق الكمي في المواضع التي لا تستدعي ذكر كل العناصر الكلامية، ولهذا فإن مبدأ التعاون في النهاية لم يخرق بكليته، فالخرق الكمي جاء ليحافظ على مبدأ المناسبة الذي يؤكد مناسبة الكلام لمقتضى الحال.

ب. الخرق بالأطناب:

وهنا تمنح المتكلم أخبارا زائدة عما يجب أن يعرفه المخاطب ويلح في القول حتى يعتبر مفرطا في الأخبار، ولهذا الخرق الكمي مقصديه عالية من وجهة نظر التكلم.[9]

وينجلي مبدأ الخرق الكمي للأطناب في معالجة ابن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى{وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ۝ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ۝ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ۝ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ۝ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى}[10] يقول " ففي هذا إيماء إلى أن السؤال عن أمر غريب في شانها، ولذلك أجاب موسى عن هذا الاستفهام ببيان ماهية المسؤول عنه جريا على الظاهر، وبيان بعض منافعها استقصاء لمراد السائل أن يكون قد سأل عن وجه اتخاذه العصا بيده، لا شأن الواضحات أن لا يسال عنها إلا والسائل يريد من سؤاله أمرا غير ظاهر...فابتدأ موسى ببيان الماهية بأسلوب يؤذن بانكشاف حقيقة المسؤول عنه، وتوقع أن المسؤول عنه توسل لتطلب بيان وراءه، فقال : " هي عصاي " بذكر المسند اليه، مع أن غالب الاستعمال حذفه في مقام السؤال للاستغناء عن ذكره في

الجواب بوقوعه مسؤولا عنه، فكان الإيجاز يقتضي أن يقول " عصاي " فلما قال : هي عصاي كان الأسلوب أسلوب كلام من يتعجب من الاحتياج إلى الإخبار كما يقول سائل لما رأى رجلا يعرفه واخر لا يعرفه : من هذا معك ؟ اجابه : هو فلان، ولذلك عقب موسى جوابه ببيان الغرض من اتخاذها لعله ان يكون هو قصد السائل فقال : " أتوكؤا عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مارب أخرى " ففصل ثم اجمل لينظر مقدار اقتناع السائل حتى اذا استزاده بيانا زده... ومن لطائف معنى الآية ما أشار اليه بعض الأدباء من أن موسى أطنب في جوابه بزيادة على ما في السؤال، لأن المقام مقام تشريف ينبغي فيه طول الحديث " [11] وقد أحاط المفسر بأطراف التحاور الذي دار بين عزو وجل وبين موسى . عليه السلام . ووصفه بالأطناب، وقال " هي عصاي " خارقا الاستعمال المعتاد الذي يقتضي منه في غير هذا المقام قوله < عصاي > لأن موسى يعلم أن الله سبحانه . لم يساله عن عصاه لطلب العلم، لأن الله يعلم أنها عصا، بل كان الغرض من السؤال هو بيان أمر غير ظاهر يأتي خلفه

فالإطناب حسب ابن عاشور جاء تلبية لغرض منشود من السؤال وعلى ما يقتضيه المقام، فالمتكلم وإن خرق مبدأ الكم بزيادة الجواب فإنه ملتزم بالمبدأ التعاوني العام، فليس يعني أن المتكلم وقع في الحشو والعياذ بالله، والضابط في هذا أن خرق قاعدة الكم أو عدم خرقها يتوقف بشكل كبير على المعرفة المسبقة أنها متوافرة عند المتكلم.[12]

والمفسر ابن عاشور استأنس بآراء بعض العلماء . الذين لم يشر إليهم . إذا اشاروا إلى أن موسى . عليه السلام . استرسل في كلامه موضحا كثيرا من الوظائف لعصاه واستوفى القدر الكافي من الجواب ليزداد شرفا وفضلا طول مناجاته لربه ليطيل من سعادته باتصاله بالحضرة الإلهية، لأن المقام مقام تشريف وهذا لب ما نادى به علماء التداولية من أن " لكل مقام مقال " [13]، ويقارب ما قدرته التداولية : أن صانع الخطاب يخرق . أحيانا . النظام اللغوي المعتاد، لأنه لا يراه وعاء كافيا لما يريد قوله فيعمد إلى الخرق بما يفرضه المقام أو يحتمله المقال [14]

3. 2.استلزام خرق مبدا الملاءمة:

وهو أحد قواعد مبدأ التعاون عند غرايس، الغاية منع المتكلم من أن ينزلق الى مقاصد أخرى مخالفة لتلك التي استهدفها الخطاب، مع مراعاة مناسبة المقال للمقام [14].

وبما أن مبدأ مبادئ التعاون قابلة للخرق، فهذا المبدأ أيضا قابل للخرق والخروج عنه، وإن قيل:< من الصعب إيجاد امثلة يحصل فيها الاقتضاء عن خرق حقيقي لقواعد هذه المقولة، إذ أنه من النادر إعطاء جواب لا يمكن اعتباره غير ملائم بالنسبة إلى سياق ما >[15]، وقد تجلى مفهوم الملاءمة عند علمائنا في الموروث العربي الإسلامي قبل علماء التداولية الغربيين، وقد أطلقوا عليها مصطلحات عدة منها " الحيدة " [16] و " أسلوب الحكيم "

ويظهر أمر ذلك في مدونة المفسر حينما فسر قوله تعالى : { ۞ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [17] قائلا : " فالجواب بقول : " قل هي مواقيت " غير مطابق للسؤال، فكيف يكون إخراجا للكلام على خلاف مقتضى الظاهر بصرف السائل إلى غير ما يتطلب، تنبيها على أن ما صرف اليه هو المهم له، لأنهم في مبدا تشريع جديد، والمسؤول هو الرسول عليه الصلاة والسلام وكان المهم أن يسالوه عما ينفعهم في صلاح دنياهم واخراهم، وهو معرفة كون الأهلة ترتبت عليها آجال المعاملات والعبادات كالحج والصيام والعدة، ولذلك صرفهم عن بيان مسؤولهم إلى بيان فائدة أخرى " [18]

وقد تبلور مفهوم الملاءمة الأسلوبية عند الطاهر بن عاشور قبل التداولين وإن أطلق عليها المطابقة، فقد أورد أن جواب الله عز وجل ليس مطابقا / ملائما للسؤال، أو على خلاف مقتضى الظاهر، فقد حصل خرق في الجواب، وعلى هذا الأساس جاء الجواب ليبين ما كان يجب وهو فائدتها ووظيفتها، وهذا الجواب وإن دل في ظاهره على خرق الملاءمة غير أنه في حقيقته يدل على

التعاون في المبدأ العام والذي تمثل في قول المفسر:" وهو معرفة كون الاهلة ترتبت عليها آجال المعاملات والعبادات كالحج والصيام والعدة "

وعلى هذا الأساس فالملاءمة لمبدأ التعاون أو خرقه يحددها غرض الخطاب، لأنه من عناصر السياق التي تسبق الإنتاج

3.3.استلزام خرق مبدا الكيف:

ينص هذا المبدأ على تحري الصدق وعدم الكذب، وقد جاءت بعض العبارات في النص القرآني تدل في ظاهرها على التعارض مع النص أو مع العقل نفسه، ووردت في آيات صفات الباري . عزوجل . وصفات الأنبياء . عليهم السلام . وقد حمل بعض العلماء [19] مثل هذه الآيات بقرائن استدلالية عقلية وعقدية على المجاز [20]، " لأنه يشكل خصوصية مؤثرة في بلاغة الخطاب القرآني ويعد قطبا مركزيا في عملية التأويل " [21].

ويترتب على هذا الإخلال الظاهري أكثر انواع الصور البيانية: التهكم والاستعارة والكناية والتشبيه والتعريض والسخرية والتلويح وغيرها [22].

وبهذا يكون نتاج الخرق تجاوز المستوى المعجمي إلى المستوى المجازي < غير الصريح > لمقاصد في نفس المتكلم لا تتم إلا بهذه الكيفية " فرمزية الخطاب الديني ومجازيته هما اللذان يميزان الخطاب القرآني من غيره ويوفران له عنصر الحياة ويفتحان أمامه آفاق التأويل " [23]

ويمكن تتبع معالجات ابن عاشور من خلال تفسيره الماتع في بيان الخرق الحاصل في مبدإ الكيف حينما فسر بعض الآيات التي ظاهرها على تشبيه الله . عزوجل . أو قربه أو بعده الذي يستلزم المكانية والزمانية والله منزه عن ذلك، وهذا ما يستجلي من خلال استخدامه للكناية [24]، مفسرا بها المعنى التداولي لكيفية قرب الله . عزوجل . حينما وصف الله نفسه بذلك في قوله تعالى {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إليه مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝ وَجَاءَتْ

سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ۝ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ۝ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ}[25]، اذ فسره قائلا : " والقرب هنا كناية عن إحاطة العلم بالحال، لان القرب يستلزم الاطلاع، وليس هو قربا بالمكان بقرينة المشاهدة... ومن لطائف هذا التمثيل أن حبل الوريد مع قربه لا يشعر الإنسان بقربه لخفائه، وكذلك قرب الله من الإنسان بعلمه قرب لا يشعر به الإنسان فلذلك اختير تمثيل هذا القرب بقرب حبل الوريد، وبذلك فاق هذا التشبيه لحالة القرب كل تشبيه من نوعه ورد في كلام البلغاء، مثل قولهم : هو منه مقعد القابلة ومعقد الإزار "[26]

وقد استنبط الطاهر بن عاشور القصد المضمر في النص القرآني بفضل قدرته التفسيرية من وراء عملية خرق قاعدة الكيف، فلم يتقبل المفسر أن يدل معنى القرب على الظاهر " الدلالة الحرفية " بل صرفه بقرينة عقلية عقدية إلى معنى آخر هو قصد المتكلم سبحانه وتعالى، لأن القرب كما يراه المفسر يستلزم الإحاطة.

فابن عاشور يرى أن المتكلم وإن خرق مبدأ الكيف إلا أنه كان متعاونا مع المتلقي، والسامع على افتراض مسبق أن الله ليس بجسم حتى يرى أو يشاهد أو يحل بمكان أو يقرب أو يبعد، ويقول في موضع آخر في بيان الطريقة لإيصال المعنى إلى المتلقي: " فان الله لما أراد تعليم معان من عالم الغيب لم يكن يتأتى ذلك في اللغة إلا بأمثلة معلومة من عالم الشهادة " [27] فالتعبير الكنائي يجعل الغائب مشاهدا لتقوية الشعور عند المتلقي بغية حمله على الاقتناع.

ونستنبط من كل ذلك أن الكناية تؤدي وظيفة تخاطبيه بقوة استدلالها لتمثل جسور تواصل بين المعنى الحرفي والمعنى المستلزم.

ولا يقتصر اختراق مبدأ الكيف على صفات الباري . عزوجل . بل قد تشمل بعض أقوال الأنبياء التي تدل في ظاهرها على الشك أو قول ما لا برهان على صحته، فمثل هذه الأقوال يجب ألا تحمل على ظاهرها، لان " الأنبياء لا يجوز عليهم الكذب فما ورد بخلاف ذلك من الأخبار لا

يلتفت إليه، ويقطع على كذبه إن كان لا يحتمل تأويلا صحيحا لائقا بأدلة العقل " [28]، بل يقتضي الرجوع بالقول إلى سياقه ومقامه التخاطبين، ولا يكتفى بالمعنى المعجمي في فهم الخطاب لأن ذلك يؤدي إلى قصور في التأويل والفهم.

وهذا المنجز التداولي نبصره من خلال كلام المفسر، إذ لم يرتض وصف النبي إبراهيم . عليه السلام . بالكذب حينما لم يصرح بفعله لما حطم الأصنام على الرغم من تقبل وصفه بالكذب اعتمادا على رواية البخاري نقلها عن أبي هريرة أن رسول صلى الله عليه وسلم قال : " لم يكذب إبراهيم < عليه السلام > إلا ثلاث كذبات كلها في ذات الله ".[29]

وقد حمل المفسر هذا الخرق على معنى التعريض بالمشركين في تفسير قوله تعالى {قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ}[30] إذ قال : " وقوله فعله كبيرهم هذا الخبر مستعمل في معنى التشكيك، أي لعله فعله كبيرهم اذ لم يقصد إبراهيم نسبة التحطيم إلى الصنم الأكبر لأنه لم يدع انه شاهد ذلك ولكنه جاء بكلام يفيد ظنه بذلك حيث لم يبق صحيحا من الأصنام إلا الكبير...فإبراهيم في إنكاره أن يكون هو الفاعل أراد إلزامهم الحجة على انتفاء ألوهية الصنم العظيم وانتفاء ألوهية الأصنام المحطمة بطريق الأولى...ويوقنهم بأنه الذي حطم الأصنام وإنها لو كانت آلهة لو دافعت عن نفسها...ولذلك قال تعالى { فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ } تهكما بهم وتعريضا بان ما لا ينطق ولا يعرب عن نفسه غير أهل للألوهية...أما الأخبار بقوله " فعلهم كبيرهم هذا " فليس كذبا وان كان مخالفا لواقع ولاعتقاد المتكلم لان الكلام والأخبار إنما تستقر بأواخرها وما يعقبها...فإذا كان الخبر يعقب بالصدق لم يكن ذلك من الكذب بل كان تعريضا أو مزحا أو نحوه " [31]

فالطاهر بن عاشور له قدرة على تفكيك النص و استنطاقه للاستلال على قصد إبراهيم . عليه السلام . الذي يدل في ظاهره على خلاف الواقع لأنه اسند فعل التحطيم إلى كبير الأصنام، ولكن ابن عاشور ارتكن في بيان ذلك القصد إلى السياق والمقام التخاطبي الذي جرت فيه

الأحداث، فإبراهيم ـ عليه السلام ـ لم ينسب التحطيم للأصنام حقيقة، لأنه لم يدع انه شاهد ذلك ولكن حينما لم يبق من الأصنام إلا كبيرهم قال ذلك القول. فالمتكلم وان خرق قاعدة الكيف فإنه يبقى متعاونا في المبدإ العام لوجود معرفة قبلية عند المتخاطبين، فلجأ عليه السلام إلى هذا الخرق تهكما بهم وتعريضا لقصد تنبههم على خطا عبادتهم فمهد كلامه على الفرض والتقدير.

هذه هي مجمل قواعد مبدأ التعاون التي تم رصدها ضمن معالجات المفسر في مدونته، وما يمكن ملاحظته أن الانتهاكات الخطابية لقواعد غرايس كانت أداة فاعلة في ضبط التحاور.

4.المصادر والمراجع :

. القرآن الكريم برواية حفص.

1.الاقتضاء في التداول اللساني، عادل فاخوري، عالم الفكر، الكويت، المجلد ٢٠، العدد / ٣، ١٩٨٩م.

2.تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، تأليف سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، طبعة جديدة منقحة ومصححة، مؤسسة التأريخ، بيروت – لبنان، ط1، (د.ت)

3.التفكير اللساني في الحضارة العربية، د. عبد السلام المسدي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت – لبنان، ط3، ٢٠٠٩م

4.تنزيه الأنبياء، أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي المعروف ب (الشريف المرتضى) (ت 436هـ)، انتشارات الشريف الرضي، مطبعة : أمير – قم، طا، ١٣٧٩هـ

5.الحيدة، عبد العزيز الكناني، تحقيق، د. جميل صليبا، مجمع اللغة العربية، دمشق ،د. ط)، (ط. ت).

6.الخطاب القرآني – دارسة في البعد التداولي، د. مؤيد آل صوينت، مكتبة الحضارة، بيروت – لبنان، ط1، 1431هـ = ٢٠١٠م.

7.الخطاب اللساني العربي هندسة التواصل الإضماري ،، د. بنعيسى عسو أزاييط، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، ط1، ٢٠١٢م.

8.دراسات في تفسير النص القرآني، التأويل والأفهوم القرآني، مجموعة من المؤلفين، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط٢، ٢٠١٠م.

9.دلائل الأعجاز : أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت 471 أو 474 هـ)، قرأه وعلق عليه : أبو فهر – محمود محمد شاكر، دار المدني جدة، ط3، ١٦١٣ هـ = ١٩٩٢

10.لسان العرب، محمد بن مكرم جمال الدين بن منظور الأفريقي (ت ٧١١هـ) تحقيق، علي شيري، دار التراث العربي، بيروت، ط1، 1408 هـ = ١٩٨٨م.
11.اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن، الدار البيضاء، المغرب، ط٢، ٢٠٠٩م.
12.ما وراء اللغة بحث في الخلفيات المعرفية، د. عبد السلام المسدي، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، (د.ت)
13.مجاز القرآن (خصائصه الفنية وبلاغته العربية، د. محمد حسين الصغير، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، ١٩٩4م.
14.محاضرات في فلسفة اللغة، د. عادل فاخوري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠١٣م.
15.مدخل إلى دراسة التداولية، مبدأ التعاون ونظرية الملاءمة والتأويل، فرانشيسكو يوس راموس، ترجمة وتقديم : يحيى حمدان، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، ط1، 4٢٠١م
16مراعاة المخاطب في النحو العربي، د. بان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ٢٠٠٨م
17.مناهج المتكلمين في فهم النص القرآني، د. ستار جبر حمود الأعرجي، بيت الحكمة، بغداد – العراق، ط1، ٢٠٠٨م.[32]

5. الهوامش:

1- يتضمن الإيجاز في أصله اللغوي (جوز) ثلاثة معان متقاربة في معناها هي (القلة والاختصار والتخفيف).محمد ابن مكرم جمال الدين ابن منظور، لسان العرب :تحقيق علي شيري، 2/416-417، مادة (جوز).
2- طه عبد الرحمان : اللسان والميزان، الدار البيضاء ،المغرب ط2 ،2009، ص112، وينظر:مؤيد أل صوينت، الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، مكتبة الحضارة، يروت ـ لبنان، ط2010،1 ص55.
3- السجدة : اية 12
4- الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، طبعة منقحة ومصححة، مؤسسة التاريخ، بيروت، لبنان، ط1، دت، 154/21
5- عبد السلام المسدي :التفكير اللساني في الحضارة العربية، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط3، 2009، ص 332
6- ينظر:بان الخفاجي، مراعاة المخاطب في النحو العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2008م، 67-68
7- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية:332
8-عبد السلام المسدي : ما وراء اللغة بحث في الخلفيات المعرفية، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، دت، 45-55
9- ينظر:فرانشيسكو يوس راموس، مدخل إلى دراسة التداولية، ترجمة وتقديم يحيى حمدان، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، ط1، 2014، ص 99
10- طه:17-18

11-الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير: 109/16-110

12- ينظر: مدخل الى دراسة التداولية : 99، والسور المكية في القران الكريم:مقاربة تداولية (رسالة): 51-52

13- السكاكي: مفتاح العلوم 168

14- ينظر:بن عيسى عسو ازاييط : الخطاب اللساني العربي هندسة التواصل الاضماري، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1 ،2012 ، 300/2.

15- محاضرات في فلسفة اللغة:28

16- الحيدة: (هي عبارة عن اجتلاب جواب لسؤال وهذا الجواب المجتلب لا يكون هو المطلوب أو المسؤول عنه هو سلوك يعمد إليه المجيب دفعا للسؤال)عبد العزيز الكتاني : الحيدة، تحقيق د جميل صليبا، مجمع اللغة العربية دمشق، دط، ط ت، 57

17- اليقرة 189.

18-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: 191/2-192

19- ومنهم على سبيل المثال لا الحصر الشيخ المفيد(ت 413 هـ) والشريف المرتضى (ت 436 هـ). ينظر:ستار جبر حمود الأعرجي: مناهج المتكلمين في فهم النص ألقراني بيت الحكمة، بغداد، العراق، ط1، 2008، 260 و 259 و 441

20- ومن اللافت للنظر أن المجاز عند العلماء العرب مفهوم واسع يدرج في ضمنه (التشبيه والاستعارة والكناية والتورية والتهكم والتعريض والتمثيل والحذف والاتساع) ينظر:د محمد حسين الصغير : مجاز القرآن: خصائصه الفنية وبلاغته العربية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1994، ص 60

21- ستار جبر حمود الأعرجي: مناهج المتكلمين في فهم النص القرآني: 182

22- ينظر: استراتيجيات الخطاب: 437، وعادل فاخوري :الاقتضاء في التداول اللساني، عالم الفكر، الكويت، المجلد20، العدد 1989، ص154

23-مجموعة من المؤلفين: دراسات في تفسير النص القرآني: التأويل والأفهوم القرآني، مركز الحضارات لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط 2، 2010، 223/2

24- عرفها الجرجاني بقوله: هي (أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره في اللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليها). أبو بكرعبد القاهربن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ،، دلائل الإعجاز قراه وعلق عليه : أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط3، 1913:ص 66

25- ق : 16

26-الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير: 26/ 250

27- المصدر نفسه: 125/8

28-ابو القاسم علي بن الحسين الموسوي المعروف ب الشريف المرتضى تنزيه الأنبياء، انتشارات الشريف الرضي، مطبعة امير، طم، ط 1379، 44-45

29- صحيح البخاري: 112/4، وينظر:الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير: 74/17

30- الأنبياء:62-63

31- تفسير التحرير والتنوير: 74/17-75

32